Al-Daleel
مؤسسة الدليل للدراسات والبحوث العقدية
Al-Daleel Institution for Doctrinal Studies

Faithism of Søren Kierkegaard.. a Critical Study

Ibrahim Bah

PhD student in Islamic philosophy, al-Mustafa International University, Guinea.

E-mail: ibrahimbah241141@gmail.com

Summary

This article attempts to explain and criticize Kierkegaard's theory of faith, that is, to explain the nature of faith from Kierkegaard's viewpoint. It tries to critique and analyze it, showing the problems that can be answered and the consequences thereof. Kierkegaard gives several evidences to support what he thinks that the evidences in horizons are alien to faith, rather they may refute it, and that the truth is a self matter coming out of the ontological relationship between man and God, and that the main characteristic of faith is the enthusiasm coming out of risk; Therefore, he does not see that reason has a role in faith, except the confession of failure and inability to interfere in the area of faith. According to Kierkegaard, the perfection of faith lies in its opposition to reason. Faith does not need evidence; so, he thinks that even if religious issues can be proven, this proof will not serve religion and faith, but, in fact, it would be a tool for destroying the spirit of faith. Faith does not need proof. We have got to many important consequences of this theory, the most important ones of which are: separation of religion from public life, making religion unable to have any influence on social life, and unable to have a general measure for evaluating , that is reason.

Keywords: reason, faith, faithism, Kierkegaard.

Al-Daleel, 2022, Vol. 5, No. 1, PP.117-144
Received: 12/4/2022; Accepted: 3/5/2022
Publisher: Al-Daleel Institution for Doctrinal Studies
©the author(s)

النزعة الإيمانية لسورن كيركيجارد.. دراسة نقدية

إبراهيم باه

طالب الدكتوراه في الفلسفة الإسلامية، جامعة المصطفى العالمية، غينيا. البريد الإلكتروني: brahimbah241141@gmail.com

الخلاصة

سعت هذه المقالة إلى توضيح نظرية كيركيجارد في الإيمان ونقدها، أي شرح طبيعة الإيمان من وجهة نظر كيركجارد، ثمّ نقدها وتحليلها وبيان الإشكالات التي يمكن أن ترد عليها والنتائج المترتبة عليها. يقيم كيركيجارد عدّة أدلّة لبيان ما ذهب إليه من أنّ الأدلّة الآفاقية أجنبية عن الإيمان، بل هي مضرّة به، وأنّ الحقيقة أمر أنفسي ينبثق عن الارتباط الوجودي القائم بين الفرد وبين الله، وأنّ الصفة والخصّيصة الرئيسة في الإيمان هي الحماسة المنبثقة عن المجازفة؛ لذا فهو لا يرى أنّ للعقل دورًا في الإيمان يلعبه سوى الاعتراف بالعجز وعدم القدرة على التدخل في ساحة الإيمان. فكمال الإيمان عند كيركيجارد يكمن في معارضته للعقل. فالإيمان مستغنٍ عن الأدلّة، فهو يعتقد بأنّه حتّى لو أمكن البرهنة على القضايا الدينية، فهذه البرهنة لن تكون لصالح الدين والإيمان، بل على العكس هي أداة لتخريب روح الإيمان. فليس الإيمان بحاجة إلى البرهان. وتبيّن لنا عدّة نتائج مهمّة مترتّبة على هذه النظرية أهمّها: عزل الدين عن الحياة العامّة وفقدانه القدرة على التأثير الاجتماعي وفقدان معيارٍ عامٍّ لتقييم المكاشفة الشهودية وهو العقل.

الكلمات المفتاحية: العقل، الإيمان، الإيمانية، كيركيجارد.

مجلة الدليل، 2022، السنة الخامسة، العدد الأول، صص. 117-144

استلام: 2022/4/12 ، القبول: 2022/5/3

الناشر: مؤسسة الدليل للدراست والبحوث العقديّة

© المؤلف

المقدّمة

الإيمان الديني بالمعنى العامّ هو مفهوم عالمي، فهو كرغبة تنبع من أعماق الوجود البشري، فإنّه يجذب الوجود البشري بقوّة إلى شيءٍ مقدّس ومتسامٍ. هذه الرغبة الداخلية للإنسان نحو الأمر المقدّس موجودة في جميع الثقافات، وهي مرئية في جميع المجتمعات البشرية وفي جميع الأوقات بأشكال مختلفة.

إنّ التشابه الكبير والتقارب بين التجارب المعنوية والأسس الفكرية والحدسية والملهمة المشتركة لجميع البشر، على الرغم من البعد الزمني والمكاني بينهما، في الحقيقة دليل لإثبات هذا المدّعى؛ إذ إنّ جزءًا كبيرًا وأساسيًّا من الثقافات البشرية متغذٍّ من البعد الداخلي الذي يتضمّن أشياء غير موضوعية وملموسة، ولكنّها مرتبطة بالإنسان فيما يتعلّق بما هو وراء الطبيعة. تتأثّر كلّ ثقافة ببعدها الداخلي وكلّ ثقافة من حيث المبدأ هي تجلٍّ ومظهرٌ لبعدها الداخلي والخارجي وأساس كلّ ثقافة هو بعدها الداخلي.

لكنّ الإيمان بالمعنى الخاصّ له أهمّيّة خاصّةٌ في الديانات السماوية والإلهية، فالإيمان هنا هو نقطة اتّصال الإنسان بمصدر حياته، الإيمان في الديانات السماوية يأخذ لونًا مزدهرًا بغضّ النظر عن كلّ المسائل اللاهوتية الصغيرة والكبيرة، الإيمان هو حلقة الوصل بين مصدر كلّ الخير ووسيلة الخلاص والخير والسعادة الدائمة، ووسيلة الخلاص الحقيقي وخلاص الإنسان من النكبات والمصائب الأخروية.

عند تفسير طبيعة الإيمان وتحليلها، توجد عبر تاريخ الفكر الديني عادةً ثلاثة أنواع مختلفة من التفسيرات بين أتباع الديانات السماوية.

التفسير الكلامي أو الفلسفي للإيمان الذي يرى إمكان إثبات المعتقدات الدينية وتبريرها بالأدلّة القاطعة البرهانية بمعزل عن مساندة الوحي. التفسير العرفاني للإيمان الذي يذهب إلى القول بأنّ الإيمان يتخطّى العقل والمعرفة أو على الأقلّ هو أعلى منه، هنا الإيمان نوع رابطة بين العاشق الخاضع الخاشع وبين المعشوق. التفسير الجامع أو الفلسفي العرفاني الذي يرى أنّ الإيمان ذو أبعاد متعدّدة ولا يمكن اختزال أبعاده المختلفة إلى بعدٍ خاصٍّ، على الرغم من أنّ بعض أبعاد الإيمان تلعب دورًا محوريًّا وبعضها الآخر دورًا هامشيًّا، لكنّها جميعًا لوازم لا تنفكّ عنه، وترى هذه النظرية أنّ للإيمان أبعادًا ثلاثةً على الأقلّ:

البعد الأوّل: عقليٌّ معرفيٌّ، حيث إنّ الإيمان مجموعة من النظام الاعتقادي، والمؤمن في الحقيقة يصدّق بهذا النظام. وهذا التصديق يستلزم الاستدلال والمعرفة لأنّه ما لم تتّضح صحّة النظام وبطلانه، فلن يكون هناك تصديق به، و من جانب آخر العشق مبتنٍ على المعرفة.

البعد الثاني هو الإرادة والالتزام، أي الإيمان، بالإضافة إلى أنّ الاعتقاد بنظام المعتقدات الدينية يخلق تعهّدًا والتزامًا. إنّ نظام المعتقد الديني البشري رؤية كونية، وكلّ رؤية كونية مصحوبة بأيديولوجيا يكون العمل والالتزام بها بمقتضى الإيمان بها، ويتمّ الحصول عليها بطاعة أوامر الله.

البعد الثالث هو البعد العاطفي للإيمان، أي بالإضافة إلى الإيمان بالنظام الديني والالتزام به، فالإيمان يرتبط بشغف عاطفي كبير. عندما يواجه الإنسان بكلّ صغره الله، يكون مرتبطًا بمصدر الوجود ذاته. هذا الاتّصال يولّد نوعًا من الشغف والعشق والتضحية.

رغم اتّخاذ النزعة الإيمانية (Fideism) شكلًا جديدًا في القرن التاسع عشر بيد سورين كيركيجارد مع تفسيراتٍ حادّةٍ ومعقّدةٍ في الوقت نفسه، وحيازتها مكانًا في علم اللاهوت وفلسفة الدين، كانت موجودةً في تاريخ الفكر المسيحي ويمكن أيضًا الشعور بها مع تفاوت في العالم الإسلامي. ينتمي بمقاربات مختلفة كلّ من القديسين أوغسطين (Saint Augustin)، وترتليان (Tertulian) وتوما الأكويني (Thomas Aquinas) وكثير من اللاهوتيين المسيحيين الذين يرون أنّ الإيمان يتخطّى العقل وهو مقدّم عليه، إلى النزعة الإيمانية. وليست مقاربة كيركيجارد (Kierkegaard) لطبيعة الإيمان في الحقيقة إلّا تنظيرًا مستدلًّا عليه لهذه النظرية؛ لذا فإنّ تأثير كيركيجارد على اللاهوت المسيحي المعاصر لا يقلّ عن تأثير أيّ شخص آخر. لكنّ معظم الأبحاث حول النزعة الإيمانية لكيركيجارد وصفية وتفسيرية، أو حتّى تفسيرات شخصية لهذه النظرية.

لا شكّ أنّ النزعة الإيمانية أو العلاقة بين العقل والإيمان هو موضوع مهم في فلسفة الدين، يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالعديد من القضايا الأخرى في فلسفة الدين ولكنّه متميّز عنها أيضًا: وجود الله والصفات الإلهية ومشكلة الشرّ والعمل الإلهي في العالم، والدين والأخلاق، والتجربة الدينية واللغة الدينية ومشكلة التعدّدية الدينية. علاوة على ذلك، فإنّ تحليل التفاعل بين الإيمان والعقل يوفّر أيضًا موارد للحجج الفلسفية في مجالات أخرى مثل الميتافيزيقيا (Metaphysics) وعلم الوجود (Ontology) ونظرية المعرفة (Epistemology).

نحن في هذه المقالة نسعى إلى بيان مقاربة كيركيجارد لماهية الإيمان، إذ إنه ركن على البعد العاطفي للإيمان والإلتزام به فقط، واستدل على كون العقل والمعرفة أي الأدلة الآفاقية أجنبية عن ساحة الإيمان والدين بل هي محق له. و نردف هذا البيان بالنقد وبيان النتائج الوخيمة التي تترتب على هذه النظرية. للوصول إلى هذا الهدف، بدأنا بتعريف كل من العقل والإيمان والإيمانية، ثمّ بيّنّا النزعة الإيمانية لكيركيجارد تحت عنوانين: المواقف السلبية ليركيجارد في دراسة موقع الأدلة العقلية بشأن الإيمان والبحوث الإيجابية لكيركيجارد حول الإيمان. بعد هذه المباحث الضرورية، تناولنا النظرية

بالنقد وختمنا البحث بذكر النتائج المترتبة عليها إيجابا وسلبا.

معنى العقل

من الناحية اللغوية تم تقديم تعريفات عدة للعقل، منها: أنه نقيض الجهل وأنه الحصن [انظر: الفراهيدي، كتاب العين، ج 2، ص 1206]، وأنّه الحجر والنهي عن الحمق [انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج 9، ص 329]. وأما من الناحية الاصطلاحية، يمكن تقسيم التعريفات إلى معرفية ـ إبستمولوجية، حيث عرف العقل بأنه؛ المشهور في باديء رأي الجميع، أي القضايا الواجبة القبول [انظر: آل ياسين، الفارابي في حدوده ورسومه، ص 371؛ حائرى يزدى، كاوش هاى عقل نظرى، ص 240] بمعنى القضايا اليقينية التي تؤلف مقدمات البرهان، سواء أكانت هذه القضايا بدهية أو نظرية [انظر: حائري يزدي، كاوش هاى عقل نظري، ص 240]. يقول العلامة الطباطبائي: «العقل ما جبل الله سبحانه الإنسان عليه من إدراك الحق و الباطل في النظريات، و الخير و الشر و المنافع و المضار في العمليات و على أساس ترتيب الاستدلالات المنطقية يصدر الأحكام النظرية والعملية والأمور المرتبطة بالإنسان» [الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج1، ص405 وج2، ص249.] ويقول أيضًا في حواشيه على بحار الأنوار: «المراد بالعقل هنا لطيفة ربانية يدرك بها الإنسان حقيقة الأشياء» [الطباطبائي، حواشي بحار الأنوار، ج1،ص87].

وجودية ـ أنطولوجية؛ المراد من العقل مرتبة رفيعة من مراتب الوجود، أو قل بالأحرى عالم من عوالم الوجود وهو عالم التجرد عن المادة وآثارها. يقول العلامة الطباطبائي: «الوجود ينقسم من حيث التجرد عن المادة وعدمه إلى ثلاثة عوالم كلية أحدها عالم المادة والقوة والثاني عالم التجرد عن المادة دون آثارها من الشكل والمقدار والوضع وغيرها ففيه الصور الجسمانية وأعراضها وهيئاتها الكمالية من غير مادة تحمل القوة والانفعال ويسمى عالم المثال والبرزخ بين عالم العقل وعالم المادة والثالث عالم التجرد عن المادة وآثارها ويسمى عالم العقل» [الطباطبائي، بداية الحكمة، ص 178].

فالمقصود من العقل في هذا البحث هو العقل بالمعنى الإبستمولوجي؛ أي العقل البرهاني القائم على القضايا اليقينية؛ أي تلك القوة التي بها يميز الإنسان بين الحق والباطل والخير والشر. فقد أودع الخالق ﷻ في الإنسان قوة يقدر بها على التمييز بين الحق والباطل في القضايا النظرية، والخير والشر والنافع والضار في القضايا العملية. والعقل في الإنسان هو القوة التي تمكنه من معرفة الحقائق والتوصل إلى المجهولات بواسطة المعلومات. فوظيفة العقل هو الإدراك.

معنى الإيمان

اشتهر عند أهل اللغة تعريف الإيمان بالتصديق [انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج 13، ص 23، مادة:

أمن] وذهب ابن تيمية إلى القول بأنّه الإقرار [انظر: ابن تيمية، الإيمان، ص 276]. أمّا في الاصطلاح فمن الناحية المسيحية، تم النظر في معنيين للإيمان في فترتين مختلفتين من الزمان. في النصوص المسيحية الكلاسيكية، اعتبر الإيمان بالافتراضات وحيًا. من وجهة النظر هذه، الإيمان نوع من الوعي والعلم، لكن في النصوص الحديثة، يعتبر الإيمان بتجسد الله وحيًا. من وجهة النظر هذه، الإيمان هو نوع من التعلق في أقصى درجاته [انظر: جمالی، ایمان گرایی در مسیحیت و اسلام، ص 11]. بهذا المعنى، فإن الإيمان هو الثقة وليس الاعتقاد.،كما أن الاعتقاد ليس جوهر الإيمان ولامقوما له. بدلا من ذلك، الثقة هي جوهر الإيمان [انظر: عارف، اسلام و مسئله عقل و ایمان، ص 107].

أما في المصطلحات يستخدم الإيمان في معانٍ عديدة مختلفة وتشير هذه الاختلافات إما إلى مكونات الدين أو إلى ملحقاته. لكن ليس هناك اختلاف كبير في الكتابات الإسلامية فيما يتعلق بموضوع الإيمان. وفقًا لهذه التعريفات، فإن الإيمان هو:1. الإقرار باللسان، 2. العمل بالأركان، 3. التصديق، 4. الاعتقاد، 5. اليقين، 6. المعرفة، 7. الالتزام القلبي والتعلق، 8. الإعتماد والإطمئنان والثقة، 9. الميل، 10. العشق. لقد اعتبر العلامة الحلي والعلامه الطباطبائي والشهيد المطهري المعرفة ركنًا من أركان الإيمان [انظر: فنائی اشکوری، نسبت عقل و ایمان در آموزه های اسلامی، مجله معرفت، العدد 133؛ سجادی، فرهنگ معارف اسلامی، ص 364؛ الأصفهاني، الإيمان، ص 147].

وقد تعرّض العلّامة الطباطبائيّ لتفسير معنى الإيمان خلال تفسيره للآيات القرآنيّة فذكر: الايمان، تمكن الاعتقاد في القلب مأخوذ من الأمن كأنّ المؤمن يُعطي لما آمن به الأمن من الريب والشك [انظر: الطباطبائيّ، الميزان في تفسير الميزان، ج1، ص 45]. وقال العلّامة أيضًا: «إنّ الإيمان هو بمعنى الإذعان والتصديق بالشيء، أو الالتزام بلوازمه. وبناء عليه فالإيمان بالله في عرف القرآن هو التصديق بوحدانيّته، وبالأنبياء وبالمعاد وبكلّ ما جاء به الأنبياء المقترن بالاتّباع في الجملة لهم» [المصدر السابق، ج 9، ص 491].

الإيمانية

عرفت الإيمانية بأنها: الرؤية التي لا تتخذ من المعتقدات الدينية موضوعة لتقييمها وفحصها العقلاني [اسميث، الفلسفة والدين، ص248 و249]. وهي بدورها تنقسم إلى فئتين مختلفتين: النزعة الإيمانية المتطرفة؛ ويعتقد أنصار هذا التيار أن المسيحية لم تأت لإقناع عقول البشر، ولا يمكن فهمها في ضوء العقل والمنطق. بناء على هذه النظرة، نزل الوحي على الإنسان ليحل محل كل المعارف الأخرى من علوم تجريبية، وأخلاقية، وما بعد الطبيعة [جيلسون، العقل والوحي في القرون الوسطى، ص 2ـ 3]. والنزعة الإيمانية غير المتطرفة؛ وهي على أشكال عديدة، منها من يرى أن القضايا الدينية لا تقف

على النقيض من العقل، و فريق يعتقد أن الإيمان يتقدم بشكل من الأشكال على العقل، وفريق آخر يفرق أساسا بين مساحتي الدين والعقل، وبعبارة أدق يعتبرون القضايا الدينية «فرارة من العقل».

بيان المسألة

يعتقد كيركيجارد أنّ الإيمان هو نفس القرار والإرادة الفردية الذي يولد بالإختيار هيجانا مطلقا في عين اليقين غير الآفاقي. من مقومات الإيمان عنده؛ كونه ذاتيا فرديا، اتخاذ القرارًا الحاسم، المخاطر، عدم اليقين الآفاقي،عدم احتمالية الأدلة العقلية والتجريبية، المخالفة للفهم و المعرفة.

لم يكن كيركيجارد معارضا للمسيحية كما هي معروضة في الكتاب المقدس، لكنه كان يعتقد بأن بين المسيحية الرسمية والمسيحية كما هي في الكتب المقدسة بونا شاسعا، وإن الهوة بينهما لا يمكن ردمها بمجرد إجراء الإصلاحات عليها، بل كان يرى ضرورة تقويضها وإعادة هيكلتها وبنائها من جديد. نحن هنا بصدد بحث هذا المحور الرئيس في تفكير كيركيجارد، إذ نسعى إلى الإجابة عن هذا السؤال: هل يمكن التوصل إلى الإيمان من طريق الأدلة الآفاقية أم لا ؟

للإيجابة عن هذا السؤال، لكيركيجارد مواقف عديدة، ويمكن تصنيفها ضمن مجموعتين: فهو من ناحية يعمد إلى انتقاد موقف الذين يسعون إلى إثبات وجود الله من طريق الأدلة الآفاقية، ومن ناحية أخرى يعمل على بيان نظريته بشأن كيفية حصول الإيمان. ونحن رعاية للإختصار سنذكر مواقفه النقدية تحت عنوان المواقف السلبية، ونذكر بحوثه التنظيرية تحت عنوان المواقف الثبوتية. وينبغي التنويه إلى أن آراءه السلبية والإيجابية هذه مبثوثة في تضاعيف كتبه المتعددة بشكل مبعثر، إلا أن الكتاب الوحيد الذي اشتمل على مجموع هذه البحوث بشكل متكامل هو كتابه شذرات فلسفية. سعى كيركيجارد في هذا الكتاب الكتاب إلى بيان أمرين رئيسين، وهما:

أولا: لا وجود لأي نوع من أنواع اليقين في العلوم البشرية.

ثانيا: الإنسان في الوقت نفسه مرغم على اتخاذ القرارات في حياته، ويمارس هذه القرارات على المستوى العملي.

الأمر الأول يرتبط بالآراء السلبية لكيركيجارد فإن كيركيجارد من خلال هذا الأمر يسعى إلى تعريفنا بحقيقة أن الأدلة الآفاقية ليست يقينية، لذلك فإنها لا تصلح أن تشكل قاعدة لإيمان الإنسان بالله وبلوغ الإيمان الديني .أما الأمر الثاني فيرتبط بالآراء الإيجابية لكيركيجارد، بمعنى أن الأدلة الآفاقية حيث لا تؤدي إلى الإيمان، وفي الوقت نفسه لا بد من اتخاذ القرار والعمل على أساسه ، فعلى أي قاعدة يجب اتخاذ ذلك القرار؟ عمد كيركيجارد في مستهل كلامه إلى التمييز بين مجموعتين من الرؤى، وهي: الرؤى الآفاقية، والرؤى الأنفسية [كيركيجارد، انفسى بودن حقيقت است،

مجلة نقد ونظر، العدد: 3 و4، ص 63]. ولا بد من الالتفات إلى أن الآفاقية هنا يعادلها في الإنجليزية كلمة (objective) والأنفسية تعادلها كلمة (subjective). ومن الصعب أن نقدم تعريفا دقيقا لهذين النوعين من الرؤى، بيد أننا إذا أردنا بيان الفارق بين هذه الرؤى أمكن لنا القول بأن الرؤى الآفاقية تشمل كل بحث ذي صلة بأمر غير الشهود والوجود الإنساني. وعلى هذا الأساس فإن الرؤى الآفاقية تشمل الأدلة التجريبية والرياضية والفلسفية والتاريخية .وفي المقابل فإن الرؤى الأنفسية هي الرؤى التي يحصل عليها الإنسان عن طريق التأمل في وجوده ونفسه. إن كيركيجارد من خلال تمييزه بين نوعين من الرؤى، يدعونا إلى نبذ الأدلة الآفاقية لصالح الرؤى الأنفسية.

1. المواقف السلبية لكيركيجارد في دراسة موقع الأدلة الآفاقية بشأن الإيمان

ولكي نبدأ الكلام حول المواقف السلبية لكيركيجارد، فإننا سنعمد إلى إعادة ما قاله في مستهل حاشيته النهائية غير العلمية مجددا. يعمد كيركيجارد إلى التمييز بين مسألتين،وهما:

1. المسألة الآفاقية.

2.المسألة الأنفسية.

فهو يرى أنّ المسألة الآفاقية على سبيل المثال: هل المسيحية على حق؟ والمسألة الأنفسية: ما هي علاقة الفرد بالمسيحية؟ وبعبارةٍ أخرى: كيف يمكن لي الحصول على السعادة التي وعدتني بها المسيحية؟ وقد عمد كيركيجارد إلى التنويه إلى ضرورة الالتفات إلى عدم اعتبار دراسة المسيحية من هاتين الزاويتين أمرًا واحدًا، بل هما مسألتان مختلفتان تمامًا. ففي البحث الآفاقي تدرس المسيحية بوصفها حقيقة تاريخية؛ وذلك لأن الحقائق الآفاقية تنقسم إلى حقائق فلسفية وحقائق تاريخية . ونعلم أن المسيحية حقيقة تاريخية .وعلى هذا الأساس فإن أسلوب دراسة المسيحية بوصفها حقيقة تاريخية، سيكون أسلوبا آفاقيا من النوع التاريخي. والسؤال هنا يقع حول صوابية اعتقاد الفرد المسيحي بالوجود التاريخي لشخص السيد المسيح، وبعبارة أخرى: إن السؤال الوارد هنا: هل يمكن للفرد أن يؤمن بالقضية القائلة: كان السيد المسيح موجودًا، معتبرًا إيمانه واعتقاده هذا اعتقادا دينيا. سنعمد في قسم المواقف الإيجابية لكيركيجارد إلى إيضاح هذه النقطة؛ وهي أن متعلق الإيمان عند كيركيجارد ليس قضية، وإنما هي الحقائق الخارجية. وبعبارة أخرى :إنه ينأى بنفسه عن آراء أشخاص من أمثال آوغسطين وأكويناس من الذين يعتبرون متعلق الإيمان هي القضايا الدينية. ولكن بصرف النظر عن ماهية متعلق الإيمان، تجدر الإجابة عن هذا السؤال :هل يمكن اختيار الأسلوب التاريخي لإثبات صحة المسيحية؟ يجيب كيركيجارد بالنفي. وإن هذه الإجابة والمسائل التي يذكرها في هذاالباب تربطنا بواحد من الأدلة التي يذكرها لإبطال يقينية الأدلة الآفاقية، والتي

سنعبر عنها ببرهان التقريب والتخمين.

أ- برهان التقريب والتخمين

يعتقد كيركيجارد أن هذه السلسلة الرئيسية في الإيمان المسيحي، والتي هي عبارة عن تجسد الإله، وبعبارة أخرى، حضور الله وانحلاله في الجسد والشكل البشري، موجود في تاريخ الإيمان المسيحي، فمن ناحية أنه يؤمن بالدور الأساسي للتجسد في الإيمان المسيحي يرى هذا الأمر نوع من المعضلة. ومن ناحية أخرى، يرى أي بحث تاريخي حول مثل هذه القضايا عديم الجدوى على الإطلاق ويعتبره ضارًا. يعتقد كيركيجارد أن البحث عن صحة أو بطلان تاريخ المسيحية والمسيح يؤدي إلى النتيجة التالية:

حرمان المؤمن من إيمانه وإضلاله، فيتساءل عما إذا كان من الممكن أن يؤسس الفضيلة والسعادة الأبدية الوحيدة المتاحة للبشرية، والتي لا يمكن تحقيقها إلا في ظل الإيمان، على المعرفة التاريخية المظنونة؟ وهل من الممكن بناء الإيمان من خلال البحث التاريخي؟ أو هل يمكن تقوية الإيمان من خلال البحث التاريخي؟ [انظر: ريچارد پاپكين و آوروم استرول؛ كليات فلسفه، ص 421]

يقول كيركيجارد بكل صراحة أنه لا يوجد شيء أوضح من أن أعظم يقين يمكن الحصول عليه بشأن الأمور التاريخية هو مجرد تقريب وتخمين، ولا يمكن بناء السعادة الأبدية على التَّقريب والتَّخمين لعدم كفاية هما وعدم تناسبهما معها، ومن المستحيل تحقيق نتيجة بهذه الطريقة [المصدر السابق]. لو أردنا تحقيق الإيمان من خلال الأبحاث التاريخية، فمن الضروري التحقق أولًا من صحّة الكتب المقدسة، ولتحقيق هذا الغرض نحتاج إلى بعض الأمور؛ لأنّ الأبحاث التاريخية تكون أساس الإيمان عندما تؤمِّن لنا اليقين في الموارد التالية:

أ) إثبات الشرعية للكتب المقدسة.

ب) إثبات أن الكتب المقدسة، من حيث السند والمدرك تتمتَّعُ بالاعتبار الازم.

ج) إثبات أن الكتب المقدسة كاملة المحتوى، بحيث لن تمسها يد التحريف، بريئة من العيوب.

د) إثبات ثقة مؤلفي الكتب المقدسة.

ه) إثبات أن الوحي ضامن يقيني لصحة المسائل، وأنها مقبولة من هذه الناحية .

يطرح كيركيجارد السؤال التالي؛ هل الأبحاث التاريخية قادرة على توفير اليقين في الموارد الآنفة الذكر أم لا؟

إجابة كيركيجارد نفسه على هذا السؤال هي بالنفي. يقول: إنه حتى لو كانت معظم الأعمال العلمية في العالم مرتبطة بهذه القضية، وتم جمع كل ذكاء وفطنة جميع أفراد العقل معًا، فلن يتمكنوا من الوصول إلى أي شيء أكثر من التقريب والتخمن.

يمكن تلخيص برهان التقريب والتخمين لكيركيجارد في الردّ على الرؤية الأفقية للحقيقة بهذا طرق:

1. أعظم يقين يمكن الحصول عليه بشأن الأمور التاريخية هو مجرد تقريب وتخمين؛
2. لا يمكن بناء السعادة الأبدية على التَّقريب والتَّخمين لعدم كفاية هما وعدم تناسبهما معها؛
3. إذن لا يمكن بناء السعادة الأبدية على نتائج الأبحاث التاريخيَّة.

وفي الخطوة التالية يقول إنه حتى لو ثبت أن البحث التاريخي مقنع، فيمكن الادعاء بأن الإيمان لم يتم الحصول عليه من البحث التاريخي والأدلة الأفقية لأن الإيمان مسألة تتعلق بالقلب ولا علاقة لها بالمنطق النظري ولا يتم الحصول عليه بالاستدلال الأفقي. أي أن طبيعة الإيمان ليست مجرد تصور نظري، بل هي شيء أعلى من ذلك.

ب- برهان التعليق والإرجاء

في هذا البرهان، يذهب كيركيجارد إلى أن جميع العلوم والمعارف البشرية المبنيّة على البراهين الأفقية بشكل عامّ في حالة التغير والتزعزع ولها خاصية عدم اليقين. الأنظمة الفلسفية المختلفة، والعلوم التجريبية وحتى الرياضيات، غير قطعية. لقد حدث في كثير من الأحيان أن فيلسوف ما قضى عمره في تحقيق نظرية ما، ثم قدم آرائه فيها وقطع بها.، وبعد مرور من الزمن أصبحت هذه النظرية معاكسة تمامًا وباطلة. يسعى الفلاسفة إثبات أنَّ القواعد العقلية كلِّيّة وقطعيّة يقينيّة ولا تقبل الاستثناء، ولكن نفس هذه القواعد تتعرض للتغيير بيد نفس الفلاسفة، والنظريات القوية المبنية على افتراضات خيالية، لذا نرى كل يوم نظرية تنوب عن نظرية أخرى.

نبين البرهان على صورة قياس منطقي ثم نردفه بالتوضيح:

المقدمة 1: يمكن أن يكون للإنسان إيمان ديني حقيقي في شيء يلتزم به التزامًا كاملًا.

المقدمة 2: إذا كان الإنسان قد بنى إيمانه على أبحاث تعطي إمكانية مراجعة نتائجها في المستقبل، فلا يمكنه أن يلتزم هذا الإيمان التزامًا كاملًا.

المقدمة 3: في كل الأبحاث والاستدلالات الأفقية، بالالتفات إلى الشواهد والاستدلالات الجديدة،

يمكن إعادة النظر في نتائجها.

نتيجة هذه المقدمات الثلاث هي أن الإيمان بوصفه تعلق مطلق ولا حد له ولا حصر بالسعادة الأبدية يتعارض مع الدراسات الآفاقية، وإن على الذين يرومون إقامة إيمانهم على الدراسات الآفاقية، أن يعملوا على تأجيل إيمانهم. وبعبارة أخرى: إذا كانت السعادة الأبدية من الأهمية بحيث لا يمكن إقامتها إلا على أمر يقيني، وكانت الدراسات التاريخية غير مفيدة لليقين، وكان هناك إمكان إعادة النظر بها في كل لحظة، كان على الفرد أن يؤجل إيمانه بحقيقة المسيحية، على أمل أن يحصل في المستقبل على دراسات تاريخية تورث اليقين الكامل، ويمكن له أن يقيم إيمانه على أساس منها [أكبري، النزعة الإيمانية عند كيركجارد، ص 45]. نتيجة هذه البرهان إذن هو: أنه لا يمكن للمؤمن على الإطلاق أن يبني إيمانه على حجج سريعة الزوال، وإذا فعل ذلك، فسيكون من الضروري تأجيل إيمانه وتعليقه، ولا يستطيع الإنسان تحقيق الإيمان طول عمره، وعليه أن يعيش في حالة من عدم التكليف، والتي هي بمثابة توقف للحياة وفقدان النعيم الأبدي الذي يتحقق في ضوء الإيمان، لذلك لا ينبغي للإنسان أن يسعى إلى الإيمان من خلال الأبحاث والاستدلالات الأفقية [انظر: آدامز؛ ادله كركگور بر ضد استدلال آفاقي در دين، مجلة نقد ونظر، العدد: 3 و4].

يراد من وراء هذين الاستدلالين إثبات أن الأدلة العقلية حيث تفضي إلى نتائج غير مفيدة لليقين لا تحظى بالقبول في الدائرة الإيمانية. فإذا كان ينبغي للإيمان أن يتعلق بأمر واقعي أو قضية صحيحة، ولم تكن نتائج الأدلة العقلية مفيدة لليقين، ولا تستطيع التمييز بين القضايا الصحيحة من السقيمة، لن تكون إقامة الإيمان على نتائج هذه الأدلة عملية صائبة.

جـ. برهان الحماسة والهيجان والمخاطرة

سعى البرهانان السابقان لكيركيجارد ـ وهما برهان التقريب والتخمين وبرهان التعليق والإرجاء ـ إلى إثبات أن الإيمان يتخطى الأبحاث والاستدلالات الآفاقية، وليس هناك من إمكانية لقيام الإيمان على نتائج الدراسات التاريخية. لكن البرهان الثالث الذي هو برهان الحماسة والهيجان والمخاطرة، فهو يفيد أن الإيمان في مواجهة حامية مع الأبحاث الآفاقية. بعبارة أخرى: إن كيركيجارد يسعى من خلال هذا البرهان إلى منع المؤمن الحقيقي من القيام بالدراسات الآفاقية، لأن هذا من شأنه أن يضر بإيمانه.

نقرر هذا البرهان ضمن مقدمات:

المقدمة الأولى: إن أهم ما يميز التدين هو الحماسة المطلقة التي لا حصر لها ولا حد، بمعنى الحماسة إلى أبعد الحدود. يمكن تحصيل هذه المقدمة من مختلف عبارات كيركيجارد. ومن ذلك قوله: الإيمان هو تحديدًا التناقض بين الوجود اللامتناهي للروح الفردية وعدم اليقين العيني. إذا كان بوسعي

التوصل إلى الله بطريقة عينية فلن يعود لي إيمان، ولكن تحديدا لأنني غير قادر على ذلك، يجب علي أن أؤمن. [انظر: بترسون، العقل والاعتقاد الديني، ص 80]

المقدمة الثانية: إن الحماسة المطلقة التي ليس لها حد ولا حصر، لا تنسجم مع اليقين الآفاقي . وبعبارة أخرى :إن الحماسة التي لا حد لها ولا حصر تقتضي عدم احتمال الآفاقية.

اتضح أن كيركيجارد ينفي وجود أي نوع من أنواع اليقين في الدراسات الآفاقية. ولكن لنفترض أن الأبحاث الآفاقية مفيدة لليقين، فهل يمكن لنا إقامة الإيمان على أساس من اليقين الآفاقي؟ يرى كيركيجارد ضرورة عدم القيام بذلك؛ وذلك لأن هذا من شأنه القضاء على الحماسة المطلقة التي لا حد لها ولا حصر، ومن شأنه أن يبعد المرء عن حقيقة الدين.

يذهب كيركيجارد في بيان ضرر البراهين الآفاقية على الإيمان إلى أن الإيمان في غنى عن إقامة البرهان، أجل ينبغي للإيمان أن يعتبر البرهان خصمه اللدود [انظر: سورين كيركگور، انفسى بودن حقيقت است، ص 70].

يرى كيركيجارد أنّ حاجة الإيمان إلى البرهان إنّما تأتي حين يفتقر الإيمان إلى الحماسة، وفي هذه الحالة لن يعود إيمانًا. تمثّل الحماسة في كتابات كيركيجارد جزءًا لا يتجزأ من الإيمان؛ ولذلك نجده يقول في بعض كتاباته: «ليس الإيمان بحاجة إلى برهان. أجل، الإيمان يجب أن يعتبر البرهان خصمه ... حينما بهبط مستوى الإيمان ويفقد فورانه تدريجًا ويتحول إلى شيء لا يمكن أن يسمى إيمانًا، عندئذٍ يحتاج إلى البرهان حتى يستعين به من أجل أن يراعي تبار الكفر. [المصدر السابق، ص 68]

والسؤال المهمّ هنا: ما هو السبب في عدم انسجام الحماسة مع اليقين الآفاقي؟ كما يذكر روبرت ميري هيو آدمز، يمكن العثور في "الحاشية" على إشارات إلى عدد من الأدلة في هذا الشأن:

الدليل الأول: أنّ ظنية الدليل الآفاقي، تزيد من خطر المجازفة التي هي لازم الحياة الدينية، وتبلغ الضرورة إلى المجازفة بالنسبة إلى الحماسة الدينية حدّا بحيث لا يكون هناك إيمان من دون مجازفة.

الدليل الثاني: أنّ عدم احتمال الدليل الآفاقي يرفع من المخاطر المحتملة الناشئة عن العمل بمقتضى الدليل الآفاقي، وهذا أمر ضروري للحماسة المطلقة التي ليس لها حد ولا حصر. توضيح ذلك أننا لو بذلنا كل ما نملك من أجل عقيدة هي غير محتملة من الناحية الآفاقية، فإننا سنتحمل حالة من الألم النفسي، وفي ذلك نوع من الكلفة والتضحية. وهنا كلما كان انعدام احتمال الأمر من الناحية الآفاقية أشد، كان الألم والتضحية بطبيعة الحال أكبر. وإن السعي إلى التقليل من حدة عدم احتمالية الدليل الآفاقي ومحاولة رفع هذا الدليل ليرقى إلى القطع واليقين، سيقلل من مستوى هذه

الكلفة ـ على فرض أن تكون الأدلة الآفاقية تورث اليقين ـ وسيؤدي ذلك بدوره إلى زوال الحماسة التي هي من الخصائص الرئيسة للإيمان.

خلاصة الكلام في دليل الحماسة هي أن كيركيجارد يرى أن الحماسة التي تستلزم إيصال المجازفة والمخاطرة إلى أقصى مستوياتها، من الأهمية في حقل الدين، بحيث تجعل من عدم احتمالية الآفاقية خصيصة مطلوبة في العقائد الدينية، وذلك لوجود علاقة وثيقة ومباشرة بين الحماسة وعدم احتمالية الدليل الآفاقي.

2.المواقف الإيجابية لكيركيجارد حول الإيمان

يقول ديفيد روبرت (David Roberts) لقد تم قطع الروابط بين العقل والقلب في المسيحية.. وإذا كانت مشكلة الفلسفة تكمن في العقل والفهم فإن مشكلة المسيحية تكمن في الروح والقلب.. وفكرة الخلاص المسيحية لا تتم عن طريق العقل والفهم بل إنها تتم من الاتحاد والمحايثة بين الإنسان والحقيقة الأبدية لا أن يغترب الإنسان عنها [David Roberts ; Existentialism and Religious Belief. P: 76]. سعى كيركيجارد في أبحاثه السلبية إلى إثبات عدم إمكان إقامة الإيمان على نتائج الأدلة الآفاقية. فإذا كان الأمر كذلك، كيف يمكن الحصول على الإيمان؟ يرى كيركيجارد أن الإيمان يحصل من خلال السلوك الأنفسي. فلو أزيحت الأدلة الآفاقية جانبا، لن تضيق الدائرة على السلوك الأنفسي (الباطني). الإيمان بالمسيحية لا يحصل إلا من خلال المسار الأنفسي حيث أن الله من وجه نظره ليس فكرة تبرهن عليها بل هو موجود نعيش في علاقة معه.

موقف كيركيجارد (Kierkegaard) هذا ينشأ من رؤيته الخاصة إلى الإنسان. وإن رؤيته إلى الإنسان تنبثق بدورها عن الرؤية التي اختارها بشأن المسيحية. يرى كيركيجارد أن المسيحية قد اهتمت بالإنسان إلى حد كبير وأعطته المكانة السامية؛ إذ يقول: «إن المسيحية تعلمنا أن الفرد موجود أمام الله بل وفي استطاعة هذا الفرد الجزئي أن يتحدث مع الله، بل أكثر من ذلك فإنها تعلمنا أن ذلك الإله الكلي في لحظة هبط إلى الأرض من أجل ذلك الفرد! وفي لحظة هبوطه ترك ذاته توجد وتولد وتعذب وتموت.. إنه الإله الذي يتعذب من أجل الإنسان، بل الأكثر من ذلك أن الإله يرجو من الإنسان أن يقبل مساعدته! وليس هناك ما يذهب العقل أكثر من ذلك! وأكثر من تلك الحقيقة التي لا يمكن لأي عقل أن يفهمها أو يعقلها [Kierkegaard : Sickness unto Death, P. 210].

بعد ملاحظة هذه الحقيقة، يركز كيركيجارد على ضرورة فهم الإيمان بصورة ذاتية أنفسية لا بصورة موضوعية عقلية آفاقية، وجعل أساس حياة الإنسان المسيحي ـ بل وأساس فكره الوجودي ـ كيف يمكن أن يكون مسيحيًّا، لا هل المسيحية حق أو لا؟

إن المهم بالنسبة إلى كيركيجارد في السلوك الأنفسي هو فكرة الإتحاد بين الإنسان والله وبمعنى آخر صيرورة الإنسان، على شرط أن يتم ذلك بدون إدخال العقل. فالعقل والفهم يجعل عملية الإتحاد غير ممكنة ومن ثم يغترب الإنسان عن الله. [انظر: حسن يوسف، فلسفة الدين عند كيركجارد، ص 49 و50].

من خلال هذا التفكير يستعرض المنحى الفكري لهيجل (Georg Wilhelm Friedrich Hegel)، وفي الوقت نفسه يحكم بتبدل الوضع الوجودي للإنسان. إن الإنسان كائن يخضع وجوده للتغيير المستمر، فهو كائن يمكنه السير والسلوك في مختلف المراتب، وأن يبلغ أعلى مراتب القرب من الله. في مثل هذه الرؤية تفقد الأدلة بريقها، ويتم طرح مسألة الارتباط الوجودي للإنسان بالله. في مثل هذه الرؤية تكتسب الحقيقة مفهوما آخر. إن الحقيقة في هذه الرؤية هي ذات الإيمان الذي يولد من رحم إرادة الفرد في اختيار الحماسة المطلقة والتي ليس لها حد أو حصر في عين انعدام اليقين الآفاقي، بعبارة أدقّ:

إنّ الإيمان هو التصميم على اختيار الحماسة التي لا حصر لها ولا حدّ، في عين انعدام اليقين الآفاقي. لكي يحصل الفرد على الإيمان عليه أن يتخذ قرارًا أنفسيًا، وأن يتقبّل من خلال ذلك ركوب المجازفة والتعرّض إلى المخاطر الكبيرة الناشئة عن اتّخاذ القرار القائم على عدم اليقين الآفاقي. وفي مثل هذه الرؤية، يغدو الله بالنسبة إلى المتدين "أصلًا موضوعيًّا" [انظر: سورين كيركگور، انفسی بودن حقيقت است، ص 68] لا يحتاج إلى دليل. ولكن لا ينبغي اعتبار هذا الأصل الموضوع كسائر الأصول الموضوعية الأخرى. فإن هذا الأصل الموضوع ضرورة تعمل على تخليص الحياة من خطر الفناء والخواء [المصدر السابق]. ومن ناحية أخرى فإن هذا الأصل الموضوع ليس قضية بل هو حقيقة. في مثل هذه الرؤية لا يمكن اعتبار متعلق الإيمان قضية، بل الذي يشكل متعلق الإيمان هو أصل الحقيقة، إذ يكون الفرد فيها على صلة وجودية بالحقيقة.

يذكر كيركيجارد في بيان الدور الذي يلعبه اليقين الأنفسي ـ وهو اليقين الحاصل إثر عقد العزم على الاختيار الحماسي لحقيقة ما مصحوبًا بانعدام اليقين الآفاقي، وما هي التأثيرات الوجودية التي يتركها؟ ـ مثالًا جميلًا، حيث يمثل برؤية سقراط في باب الخلود الشرطي، إذ يقول: إن كان هناك خلود، فتكون هذه الـ "إن" عند كيركيجارد مجرد "إن" آفاقية، وإلّا فإن سقراط لم يكن لديه أدنى شكّ من الناحية الأنفسية في حقيقة الخلود. فقد كان على يقين من تحقق الخلود، غير أن يقينه كان يقينا أنفسيا، ناشئا عن العزم على الإيمان بهذه الحقيقة في عين عدم احتمال الآفاقية. ويضيف كيركيجارد: إن هذه الـ "إن" لا تثبت أن سقراط كان من أصحاب الشك بالمقارنة إلى فيلسوف عصره أبدًا [انظر: المصدر السابق، ص 70]. والسبب في ذلك أن سقراط قد عرّض كل حياته للخطر من

أجل هذه الـ "إن" الصغيرة، وسارع إلى مواجهة الموت بشجاعة، وأمضى حياته بحماسة مطلقة ليس لها حصر ولا حد، من أجل أن يثبت هذه الـ "إن" [المصدر السابق، ص 68]. ثمّ يستطرد كيركيجارد قائلًا: إن الذين ينشدون الخلود من خلال الأدلة الآفاقية، ويسعون إلى الحصول على اليقين منها، بعيدون عن حقيقة الإيمان، إذ يفتقر جهدهم إلى العزم على اختيار الحماسة التي ليس لها حد ولا حصر، ناشئ عن تقبل الخطر ودفع الثمن. إن الذين يقيمون إيمانهم على مجرد الأدلة الآفاقية لا يصوغون حياتهم بشكل يؤيد هذه الرؤية (الاعتقاد بالخلود). من هنا يستنتج كيركيجارد، أنه ليس هناك من بين البراهين الثلاثة التي قدمها البعض على إثبات الخلود ما هو أقوى من نمط حياة الذي عمدوا إلى تقديم هذه الأدلة الثلاثة. [**انظر**: المصدر السابق، ص 72]

يعمد كيركيجارد من خلال تأكيده على الفرد الإنساني وصلته وارتباطه الوجودي بالحقيقة، إلى إهمال متعلق الإيمان وإعطاء الأهمية القصوى للفعل الإيماني الباطني. وإنطلاقا من ذلك يزهر تعددية كيركيجارد حيث يعتبر أن المسيحي الذي يدعو الله الواحد ليس بالضرورة أفضل من المشرك الذي يدعو غير الله؛ فالعبرة ليست بمن يتم توجيه الدعاء إليه، بل بمستوى فعل الدعاء بوصفه تجربة باطنية أنسانية عميقة.

كيركيجارد يثبت أن الأهم من كل شيء بالنسبة له هو الارتباط الحقيقي بين الفرد والحقيقة، وهو الارتباط الذي لا يقوم على أدلة آفاقية، ولا يعتمد على الأمور الظاهرية، بل هو ارتباط وجودي. وعليه قد لا يبدو الفرق ظاهرا للعيان بين الشخص المتدين وأي شخص عاد آخر. وهذه مسألة يؤكد عليها كيركيجارد. فهو يرى أن الفرق بين الفرد المتدين والفرد العادي لا يتجلى في الأعمال اليومية الروتينية، بل إن الكثير مما يقومان به واحد ومتشابه. إن الفارق بينهما لا يخضع للمشاهدة، بل هو أمر غير مرئي. الرجل المتدين مثل الرجل العادي، يأكل ويشرب ويخلد إلى الراحة وما إلى ذلك. ولكن حيث تشكل هذه الأمور محور حياة الرجل العادي، لا نجد لها دورا محوريا في حياة المتدين إن الرجل المتدين يعتبر الله كل حياته [See: Louis Mackey, "Soren Kierkegaard: The Poetry of Inwardness", in Existential Philosopher, p. 77]؛ ولذلك نجده على استعداد للتضحية بكل ما لديه في سبيل الله. يرسم كيركيجارد كما رأينا للنبي إبراهيم في كتابه" خوف وقشعريرة "صورة الرجل المتدين، فنجده على أتم الاستعداد لامتثال أمر الله له بأن يقود ولده بنفسه إلى مذبح التضحية. فأي شيء يمكن له أن يحث إبراهيم على ذبح ولده في سبيل الله غير ذلك الارتباط الباطني والداخلي القائم بين النبي إبراهيم وبين الله؟ وما هو النظام الأخلاقي وما هو الاستدلال الآفاقي الذي يستطيع تبرير قتل الوالد لولده؟ أليس الأمر يعود إلى عزم النبي إبراهيم على اتخاذ القرار وعدم تأثير الأدلة

الآفاقية، بل باختيار الحماسة التي ليس لها حد ولا حصر، لذا يكون على استعداد للمخاطرة بكل شيء من أجل هذه الحقيقة التي أيقن بها من خلال الارتباط بها أنفسيًّا؟

في ضوء رأيه بأنفسية المسيحية، يذهب كيركيجارد إلى أنّ بناء الإيمان على الأدلّة الآفاقية هو جهد عبثي وغير منتج. لذا فهو يرى الحقيقة بعنوان حقيقة معاشة في حياة الفرد، لا قضية مدركة فقط، وعيش الحقيقة هو فقط بتحولها إلى أمر أنفسي داخلي ذاتي؛ لأنّ أيّ ثنائية بين الذات والحقيقة سيعني فقدان خاصية العيش والممارسة، فليس المهم أن أعرف ما هي الأخلاق، بل المهم أن أعيشها، والعيش هو ما يحقّق الهوية الوجودية الحقيقيّة للإنسان عنده . [انظر: حيدر حب الله، كيركجارد و نقد تعقيل الإيمان؛ تحليل و تأمل، ص 70].

خلاصة الكلام أن كيركيجارد صاغ نظرية اشتملت على ما يلي:

1. إن الأدلة الآفاقية أجنبية عن الإيمان، بل هي مضرة به.
2. إن الحقيقة أمر أنفسي، ينبثق عن الارتباط الوجودي القائم بين الفرد وبين الله.
3. إن متعلق الإيمان ليس القضايا الدينية، بل متعلق الإيمان هو الحقيقة نفسها: إن متعلق الإيمان ليس نظرية. ..إن متعلق الإيمان ليس مجرد أستاذ يحمل نظرية... بل إن متعلق الإيمان هو حقيقة الأستاذ، وكون الأستاذ موجودا حقيقة. ..وعليه فإن متعلق الإيمان حقيقة الله -البشر في ضوء وجودها. ..حقيقة وجود الله في فرد جزئي ... [Soren Kierkegaard, Concluding Unscientific Postscript, p. 290]
4. إن الصفة والخصيصة الرئيسة في الإيمان هي الحماسة المنبثقة عن المجازفة.

نقد النزعة الإيمانية لكيركيجارد

إن الأدلة التي أقامها كيركيجارد ضد الاستدلالات الآفاقية تبطل نفسها، حيث أن السبب الذي أدى بكيركيجارد إلى الحكم بعدم إمكان بناء الإيمان على الأدلة الآفاقية هو ما ذهب إليه أن جميع العلوم والمعارف البشرية المبنيّة على البراهين الآفقية بشكل عامّ في حالة التغير والتزعزع ولها خاصية عدم اليقين، إن هذا القول إن كان يقينيا فقد نقض نفسه وإن كان غير يقيني فقد شمل نفسه، وهنا سنقوم بنقد براهين كيركيجارد.

نقد برهان التقريب والتخمين

لا يمكن بناء الإيمان على نتائج الأبحاث التاريخيَّة. هذا البرهان نوع من القياس الاستثنائي المتصل، والقياس الاستثنائي له أربعة أشكال من حيث الهيئة، شكالان منتجان وشكلان عقيمان. ومن

الشكلين عقيمين، الشكل الذي فيه استثناء المقدم مثل: إذا كان المدفأة قيد التشغيل، ترتفع درجة حرارة الغرفة. لكن المدفأة ليست قيد التشغيل، لذا فإن الغرفة ليست دافئة. هذا القياس برفع المقدم ينتج نقيض التالي. هذه الصورة من القياس الاستثنائي المغالطي عقيم لأن النتيجة لا تكون دائما صادقة. وتنيجة برهان التخمين والتقريب أخذت بهذه الصورة؛ استثناء المقدم لينتج نقيض التالي. إضافة إلى ذلك فله إشكل محتوائي [انظر: عباسی، درآمدی بر کلام جدید، ص 257]

هذه الحقيقة لا تخفى على أحد، فالعديد من الأحداث والأحداث التاريخية يقبلها البشر ويؤمنون بها... بدلا من ذلك، فإن رؤية الحياة البشرية تبتني عليها وتتمتع بنوع من اليقين من خلال البراهين الآفاقية. إن رفض جميع الحقائق التاريخية بحجة احتمال الخطأ هو رأي مرفوض، وإذا كان الأمر كذلك، فإن حياة المرء ستكون بلا أساس تمامًا إذا كان كيركيجارد متأكدًا من أن والده مايكل باترسون قد بلغ سن 76، على سبيل المثال، أو هو نفسه أصغر أو أكبر من بعض الإخوة الآخرين، فمن أي حدس أتى هذا اليقين؟ القضايا التاريخية لها أسلوبها الخاص في الدراسة الذي يقبله البشر ويتقبلونه.

نقد برهان التعليق والإرجاء

أولًا، لم يثبت أي دليل أن الإيمان الديني الحقيقي لا يمكن تبريره ببراهين آفاقية، وثانيًا، هذا البرهان صحيح بالنسبة لأولئك الذين يؤمنون بإمكان إبطال الأدلة الآفاقية التي تدعم إيمانهم ولو إحتمالا في المستقبل. ولكن المقدمات الأولى والثالثة هذا البرهان خاطئة. المقدمة التي تقول أن المؤمن بدون الإلتزام بمحتوى الإيمان لا يحصل على الإيمان الأصيل، ومع وجود إحتمال المراجعة لا يمكن الإلتزام الكامل. وكل دليل آفاقية يحتمل إمكان المراجعة. نتيجة هذه البرهان إذن هو: أنه لا يمكن للمؤمن على الإطلاق أن يبني إيمانه على حجج سريعة الزوال .

المشكلة في هذه المقدمة الأولى هي أنها تتطلب أن يكون هناك تفان غير مشروط في الإيمان. نعم، يعني الإيمان احترام محتواه، ولكن لا شك في أن التفاني غير مشروط، على سبيل المثال، لا يكون ذلك بدون هذا الشرط. سواء كان إيماننا و الإيمان صحيح أم لا، الإيمان هنا يجب أن يكون مشروطًا بالفهم والمعرفة لا رمي السهام في العتمة.

أما القول أن كل دليل آفاقي يمكن إعادة النزر فيه، لا يصدق دائما. عندنا كثير من الأدلة الآفاقية لا يمكن إعادة النظر فيها؛ مثل؛ استحالة اجتماع النقيضين...هذا البرهان ضعيف ولايثبت مدعاه. لاشك أن الإيمان الديني الأصيل يتضمن الإلتزام التام الكامل وهذا الإلتزام ناشئ من المعرفة لا من التقليد الأعمى. من الممكن أيضًا الحفاظ على الالتزام بنظرية ما على الرغم من إمكانية المراجعة في

المستقبل، كما فعل شيوخ وعلماء العديد من الأديان لتحقيق اليقين. وهذان البرهانان تتعارض مع الحياة اليومية للإنسان، على سبيل المثال، مع احتمال وقوع حادث طائرة أو سيارة، لن يتخلى أحد عن السفر، ومع احتمال أن يكون الطعام اليومي، على سبيل المثال، سامًا، فلن يتوقف أحد عن الأكل و...

نقد برهان الحماسة والهيجان والمخاطرة

من وجهة نظر كيركيجارد إن أهم ما يميز التدين هو الحماسة المطلقة. وحصول هذه الحماسة يقتضي عدم احتمال الآفاقية ولازمها المخاطرة والتضحية. مع فقدان المخاظرة والتضحية لا وجود للإيمان.

ينتقد آدامز (Adams) هذا البرهان، ويقول: يجب أن نرى ونفحص ما إذا كان ينبغي أن تكون الحماسة، أو التصور الذي يفكر فيه كيركجارد، جزءًا من المثل الأعلى للحياة الدينية، أم لا. هذا الشخص يقدم أعظم التضحيات الممكنة، حتى في الحالات التي يكون فيها احتمال النجاح هو الأدنى قدر الإمكان، وهذا في رأيي هدف بعيد المنال. [انظر: آدامز، ادله كيركگارد بر ضد استدلال آفاق دين، ص 100]

نقد آخر: أي إيمان يجب اعتناقه؟

من الانتقادات الجادة لنظرية الإيمان لكيركجارد أنه من خلال إنكار دور العقل والاستدلال في باب الإيمان، هناك دائمًا خطر كبير يتمثل في احتمال حدوثه. وهو أن يكون الإنسان في علاقة وجودية خاطئة باعتقد ما، وهذه الخطورة أشد حيث يكون الإنسان يقنع نفسه بالمعتقدات الخاطئة من أجل تحقيق السعادة. هل يمكن قبول طرح آلاف الخرافات في سوق المعتقدات البشرية باسم الإيمان والدين دون مساعدة أي حجة عقلانية؟ يجب أن يُسأل كيركيجارد عن النظام العقائدي الذي يجب اتباعه للحصول على السعادة، وإذا أظهر المسيحية أو دينًا آخر، فيجب أن نسأل مرة أخرى لماذا يجب أن نؤمن بهذا الدين ولماذا لا نؤمن بذاك؟

إن فصل الاستدلال العقلي عن الدين، يؤدي إلى التعددية في الاعتقاد وهي كارثة عظيمة، حيث تُبنى خرافات عديدة باسم الدين، وتاريخ البشرية مليء بمثل هذه الأحداث، من الخوارج الذين حاربوا خليفة الله باسم الدين، وغيرهم إلى يومنا هذا.

يقول الأستاذ مطهري في كاتب الإنسان والإيمان: وقد أثبتت التجارب التاريخية أن فصل العقل والعلم والإيمان قد أدى إلى أضرار لا يمكن تعويضها؛ لذا يجب معرفة الإيمان على ضوء العقل والعلم؛ لكي يبتعد الإيمان عن الخرافات بنور العقل والعلم. وبفصل العقل والعلم عن الإيمان يتحول الإيمان إلى جمود وتعصّبٍ أعمى ... والإيمان الخالي من العلم والمعرفة ينقلب فيه المؤمنون الجهلة إلى

آلة بيد كبار المنافقين، وقد رأينا نماذج منهم كالخوارج في صدر الإسلام والمراحل التي تلته بصور مختلفة. [انظر: مطهرى، مسئله شناخت، ص 29]

والعقل والعلم بلا إيمان سيف بيد إنسان غير متزن، وسراج في منتصف الليل بيد لص ليسرق أغلى المصوغات؛ ولهذا فإن الإنسان العالم بلا إيمان اليوم لا يختلف عن الجاهل بلا إيمان في الأمس أدنى اختلاف، من حيث طبيعة الأساليب والأفعال وماهيته، فما الاختلاف بين أمثال تشرشل ونيكسون وستالين اليوم، وبين الفراعنة وأمثال جنكيز بالأمس؟ [انظر: مطهرى، مسئله شناخت، ص 29]

ويبدو من كلام كيركيجارد أنّ الاعتقاد بأمر على رغم وجود شواهد وأدلة آفاقية مخالفة له يؤدي بالفرد إلى اتخاذ الخطوات العملية للاعتقاد بتلك القضية أو الحقيقة. وهذا ما نشاهده في العديد من المواقف في حياتنا. ولكن السؤال المطروح هنا: ما هو معيار لقبول قضية أو حقيقة ما؟ بعبارة أخرى: لقد وضعت الأديان المختلفة طرقًا عدة أمام الإنسان، وكل واحد منها يطالب بالارتباط الوجودي بين الإنسان والأمر المقدس في ذلك الدين. فهل يتعين على المرء أن يقيم ارتباطًا وجوديًّا مع الله أم مع الثالوث المقدس؟ وهل تعتبر إقامة الارتباط الوجودي مع يهوه قرارًا صائبًا وعقلانيًا ؟ أم يجب أن يقوم هذا الارتباط الوجودي مع إله البراهمة؟ فما الذي يمكن لكيركيجارد أن يجيب في هذا الشأن؟ يبدو أنه في مثل هذه الحالة سيقع في ورطة التعارض.

إن هذا التعارض يثبت أن رؤيته ليست رؤية دينية شمولية، وإنه يقبل بصحة المسيحية بوصفها نموذجًا مقبولًا. والسؤال المطروح هنا: ما هو الدليل القائم على قبول المسيحية كدين؟ وهل يمكن الإصرار على النموذج المسيحي في الوقت الذي تنتشر فيه مختلف النماذج الأخرى؟

إن طريق الوحيد أمام كيركيجارد للخروج من هذا المأزق أن يقول: ما دام الإنسان يروم إقامة الارتباط الوجودي مع حقيقة مقدسة، يكون قد اختار الطريق الصائب وكان محقًّا. إلّا أن هذه الإجابة تنطوي على اتّجاه تعددي. ولا يتسع هذه المقالة لنقد أدلة القائلين بالتعددية، ولكن يكفي القول بأن الاتجاه التعددي يحتوي على الكثير من المعضلات المعرفية، ولا يمكن قبوله؛ لأنّ اتخاذ التعددية مرتكزًا للتخلّص من الإشكال المذكور يشبه الهروب إلى الميزاب للاحتماء من المطر!

نقد آخر: بأي الوسائل والأدوات يجب أن ندعو إلى الإيمان؟

إذا كانت الحجج والأدلة والبراهين والشواهد والقرئن لإثبات وتأكيد الإيمان غير مفيد ولا مرغوب فيه، بل هو من وجهة نظر كيركيجارد مدمّر للإيمان، فبأية طريقة يمكن دعوة غير المؤمنين إلى الإيمان؟ وما هي الأدوات والأساليب والطرق الأخرى غير الاستدلال وإقامة البراهين يمكن الإعتمان

عليها عند مواجهة أشخاص غير متدينين؟ وكيف يمكن التحدث مع الملحدين والمشككين في هذا االباب وإحضارهم إلى الإيمان ودعوتهم للانضمام إلى جماعة دينية ؟

في هذا الباب، الطريقة العقلانية الصحيحة هي أنه يجب على المرء أن يدرس بدقة كل هذه المنظورات المختلفة والخيارات المختلفة ثم يرى أي منها بالقارنة بالأخرى أقرب إلى الحقيقة والصدق ويختارها. بالطبع، هذا ما يعتبره كيركيجارد غير مرغوب فيه بل مستحيل. علينا أن نسأله، السيد كيركيجارد، لماذا قدمت بعض البراهين الإثبات نظريتك في الإيمان، ثم فضلت هذه النظرية على جميع النظريات الأخرى ؟

نقد مبنى كيركيجارد في باب الإيمان

إن ما ذهب إليه كيركيجارد من نفي دور العقل والمعرفة نفيا تاما فيما يتعلق بالإيمان يرجع إلى مبناه للإنسان والإيمان. فمبناه الأول هو أن الإنسان في بعد النظري ومعرفة الحقيقة جاهل، ولا يستطيع بمساعدة العقل والمعرفة سلوك طريقة السعادة. وبالطبع هذا المبنى له مبنى آخر لذاته، وهو أن الإنسان في رأيه سقط من وجود الحقيقة بسبب الخطيئة الأصلية ولا يزال جاهلًا، و هذا النقص فقط الإيمان وحده يستطيع تعويضه.

نقد المبنى الأول

عند نقد هذا المبنى، ينبغي النظر في مسألة إمكانية المعرفة والإدراك لأن مسار السيد كيركيجارد يمر من قبل المتشككين والسفسطائيين، مع الفارق أنهم ظلوا في شكهم، ولم يظل كيركيجارد موضع الشك بسبب قفزة الإيمان. ينبغي أن نرى هل هناك إمكانية المعرفة للإنسان وهل المعرفة اليقينية ممكنة؟ إن مفهوم المعرفة واليقين من أوضح المفاهيم وأشدها بدهية، وهو ليس مستغنيا عن التعريف فحسب وإنما لا يمكن تعريفه إطلاقا، وذلك لأنه لا يوجد مفهوم أوضح منه حتّى يصبح معرفا له لا يمكن تعرفهما بالحد، وإنما شرح الاسم.

تعريف صدق الحقيقة

الحقيقة أو الصدق عبارة عن الإدراك المطابق للواقع والكذب عبارة عن الإدراك غير المطابق للواقع. إذن الحقيقة والخطأ صفتان للإدراكات من لحاظ المطابقة أو عدم المظابقة للواقع. طبعا هذا الخطأ والتوافق في مكان يوجد فيه وسيط بين المعلوم والمعلوم، ولكن حيث لا يوجد وسيط، نتحدث عن الخطأ، ولا يمكن افتراض وجود الخطإ.

تعريف اليقين

اليقين في الفلسفة الغربية بمعنى الوضوح والتمايز حسب ما بينه ديكارت [فروغي، سير حكمت در اروبا، ص 125]، فالحقيقة عبارة عن اليقين، واليقين وهو نفس الفهم الواضح والمتمييز. أما في الفلسفة الإسلامية، فاليقين هو الاعتقاد الجزم المطابق للواقع. يقول صدر المألهين: «العلم اما تصديق فهو الاعتقاد الراجح سوا بلغ حد الجرم أم لا؟ فان طابق الواقع فيقين والا فجهل مركب أو فظن صادق او كاذب وأما غيره فتصور» [الشيرازي، اللمعات المشرقية في الفنون المنطقية، ص 3].

إذن فلليقين ركنان: الاعتقاد الجازم ومطابقة الواقع.

والتفاوت بين العلم واليقين هو أن العلم هو التصور المطلق، سواء كان تصديقا أو تصورا، أما اليقين فهو يتعلق بالتصديقات فقط. يقول ابن سينا: يقين منه هو ان يعتقد في الشيء انه كذا و يعتقد انه لا يمكن الا يكون كذا اعتقادا وقوعه من حيث لا يمكن زواله (انظر: ابن سينا، الشفاء (البرهان)، ص 256).

طبقا لهذا التعريف فإن اليقين إضافة إلى الركنين المذكورين أي الاعتقاد الجازم والمطابقة للواقع فإن عدم إمكان زواله في أي وقت من الأول ركن آخر لليقين. والآن لنرى هل بإمكان البشر الحصول على العلم واليقين أو لا؟

إمكان المعرفة واليقين

بخلاف ادعاءات المتشككين والسفسطائيين، حسب فلاسفة المسلمين، الحصول على المعرفة واليقين أمر ممكن، وهذا الإمكان أمر بدهي ولا يتطلب دليلا. حسنًا، إذا كان الشخص يشك في أي شيء، فلا يمكنه أخيرًا الشك في وجوده، وكذلك قواه الإدراكية، مثل قوة البصر، واللمس... وحالاته العقلية مثل الخوف والحب والحنان والغضب والبغضاء والرضا والفرح والحزن والندم... هذه بالإضافة إليها، لها تأثير على الوجود الخارجي، حتى على وجود الآخرين وكل الأشياء البعيدة. الحياة العملية للإنسان تقوم على قبول اليقين، فلماذا لايرمي الإنسان بنفسه من قمة جبل إلى واد، ولماذا لا يعيش بدون طعام..، ولماذا لا يصطدم الإنسان بأشياء ثقيلة؟ على رأسه؟

لذلك اتضح أن كل هذه الأشياء في إثباتها لا تحتاج إلى صغرى وكبرى وحد أوسط ووسط لبداهتها. حسنًا، الآن لا يزال هناك شخص ما يصر ويقول إنه من غير الممكن على الإطلاق أن يصل المرء إلى المعرفة واليقين، وفي هذه الحالة يجب على المرء أن يستجيب من خلال المنطق النظري والعملي.. المنطق النظري هو أن هؤلاء السادة يجب أن يُسألوا عما إذا كانوا متشككين أم لا في ادعائهم ؟ والذي يتضمن

استحالة معرفة اليقين. هنا قد يمكن تقديم واحدة من الإجابات الثلاثة التالية.

1. نعم، أنا متأكد من ادعائي، وفي هذه الحالة يعتقد هذا الشخص أن لديه معرفة معينة واحدة على الأقل وقد اعترف، وبهذه الطريقة يكون قد خالف ادعائه بأنه من المستحيل معرفة اليقين.

2. أو قد يقول ردًّا لا أدري ماذا يعني. أي، افترض أنّ هناك معرفةً معيّنةً ممكنةً؛ لذا فهو يقبل إمكانية معرفة معينة ولا ينكر أنّه انتقض ادّعائه مرّةً أخرى.

3. ولكن إذا قال ردًّا على ذلك إنّه يشكّ في إمكانية معرفة معيّنة، فينبغي أن يُسأل عمّا إذا كنت تعرف أنّك تشكّ أو لا؟ إذا قال إنني أعلم أنني أشك، فعندئذ لم يوافق فقط على إمكانية الحصول على المعرفة، بل قبل أيضًا حدوث المعرفة. ولكن إذا قال إنه يشك أيضًا في شكّه الخاص، فيجب أن تُعطى إجابته من خلال المنطق العملي أي ضربه على رأسه بقبضة قوية لمعرفة ما إذا كان يعرف الألم أم لا ، أو أرسله إلى مستشفى للأمراض النفسية!

يعتقد الفلاسفة المسلمون أنّ مجموعة المعرفة الإنسانية تقوم على مفاهيم وافتراضات واضحة، أي افتراضات معينة دون الحاجة إلى البرهان والحجة. في هذه النظرية، يكون الوصول إلى اليقين وتحقيق اليقين ممكنًا، ووفقًا لهذا الرأي، فإن الأصولية وإرجاء النظريات والمعرفة الحصولية إلى البدهيات لا تقتصر على محتويات الافتراضات، بل يشمل الهيئات وأشكال الاستدلال تمامًا كما يجب أن إرجاء محتوى الاستدلال إلى قضايا ضرورية وغير كسبية ولا تحتاج إلى حجة. يجب أن تعود جميع أشكال ومجموعات الاستدلال أيضًا إلى شكل واضح وبدهي وبدون الحاجة إلى التفكير، وإلا يستلزم التسلسل وسيكون اكتساب المعرفة واليقين والوصول إلى معرفة محددة أمرًا مستحيلًا، وبالتالي فإن اكتساب المعرفة واليقين ممكن للبشر .

إذن، فإن إمكانية المعرفة والمعرفة على وجه اليقين وحتى حدوثها هي مسألة واضحة أنها غير قابلة للنقاش على الإطلاق، لذا فإن كلمات كيركيجارد ليس لها أساس علمي. نعم، قد يقول إننا نقبل إمكانية المعرفة اليقينية في المحسوسات، أما ما يرتبط بما وراء الطبيعة وغير المحسوسات فإننا ننكره. الجواب واضح يا كيركيجارد، يا من يتنفس الإيمان والله، بأي حس أدركت هذا ؟ في الأساس أنت عالم، تدعي لنفسك العلم، فمن أي حس عرفت بعلمك؟ لذلك، فإن الادعاء باستحالة المعرفة اليقينية إدعاء واضح البطلان.

أما القول بأن الجهل البشري في هذا العالم يرجع إلى هبوط الإنسان، فإن هذه العبارة في رأينا في قصة الهبوط وخطيئة آدم الأصلية كما وردت في العهدين القديم والجديد محرفة تمامًا. وبحسب الأستاذ

مطهري، فإن هذا التحريف هو من التحريفات التي أحدثت أكبر ضرر في تاريخ البشرية. الأمر الذي جعل الإدراك والمعرفة يتعارضان مع الإيمان، وليس من المنطقي على الإطلاق أن ينزل الإنسان من باب الله ومن الجنة الإلهية بسبب أكله لثمار شجرة المعرفة، العديد من هذه المدارس، التي تنظر في التناقض بين العقل والمعرفة والإيمان، نشأت من هنا.. بحسب القرآن لا تناقض بين العلم والإيمان إطلاقا، وبسبب علمه كان آدم متفوقا على الملائكة وخليفة لله في الأرض، والله نفسه علمه علم الأشياء وحقائقها. وعلم آدم الأسماء كلها. [انظر: مطهري، مسئله شناخت، ص29]

أما في التوراة فالأمر مهيأ لدرجة أنه بعد أن دخل الشيطان الجنة من خلال الحية وأقنع زوجة آدم أن تأكل من تلك الشجرة المحرمة، وكانت تلك الشجرة شجرة المعرفة، وأكل منها آدم، ثم انفتحت عينيه. وعلم بكل شيء وتمرد وعصى أمر الله وطرده الله من الجنة لأنه ظن أن الإنسان أكل ثمر المعرفة وصار عالمًا، ثم إذا أكل من ثمر الخلود، يبقى أبديًا ويصير مثل الله.

لكن القرآن يقول: قبل ذهابه إلى الجنة كان آدم عالمًا وأعطاه الله العلم، وفي القرآن طرد الله آدم من الجنة لأن الإنسان رغم علمه أسر بالجشع والهواء وصار شهوانيًا. وقع في الإغراء ولم يتصرف آدم حسب مقتضيات علمه وسقط. وفقًا للسيد مطهري، فإن الإدراك يعطي الإنسان نظرة للعالم والنظرة للعالم يمنح الإنسان أيضًا أيديولوجية، والأيديولوجية تتطلب العمل والالتزام من الإنسان وتجلب المسؤولية، والعمل له جانب سلبي وإيجابي. وبحسب القرآن لم يُطرد آدم من ثمر العلم بسبب نفسه، بل لأنه لم يتصرف وفق مقتضيات العلم، فلا علاقة لقصة النزول بجهل الإنسان. [انظر: المصدر السابق]

الخاتمة

في خاتمة هذا البحث يمكن أن نضع نظرية كيركيجارد للإيمان وفهمه لطبيعة الإيمان في ميزان النقد العلمي، ونورد فيما يلي بعض النقاط الإيجابية وبعض السلبيات.

النقاط الإيجابية التي يتضمنها هذا النموذج من الإيمان هي:

1ـ من وجهة النظر هذه، تعتبر قضية الإيمان من أكثر الاهتمامات الجدية للوجود الإنساني، والتي تعتبر أيضًا طريقة الفلسفة الوجودية، التي أسسها كيركيجارد، لذلك في هذا المنظور، الإيمان هو السبيل الوحيد للإنسان للوصول إلى السعادة والكمال، الإيمان هو ضامن رفاه الإنسان وخلاصه.

2ـ لأن هذا الرأي يعتبر أن الإيمان هو السبيل الوحيد لإنقاذ البشرية من عواصف الشك والضلال من المدارس العبثية والإلحادية، فهذه خطوة ثمينة للغاية وثورته على المدارس المنحرفة جديرة بالثناء، وهذا القبل في كيركيجارد يشبه إلى حد ما ما قيل بحق ديكارت. لقد أسس ديكارت العقلانية في مواجهة الحسيين والمشككين، على الرغم من بداية استدلاله؛ أنا أفكر إذن فأنا موجود.

3ـ تعتبر هذه النظرية جوهر الإيمان على أنه إخلاص في حد أعلى وتضحيات عظيمة وعشق وحماسة مطلقة للمؤمن تجاه متعلق الإيمان ولا تعتبر الإيمان مجرد تأكيد معرفي بارد للقضايا الدينية.

وبهذه الطريقة، تفضل هذه النظرية النظرة العرفانية في باب الإيمان، وهو مواجهة حضورية شهودية في البيئة النظرية والعملية، على الموقف الفلسفي والفكري المحض تجاه الإيمان، وهذا أمر مقبول.

النقاط السلبية التي لا يمكن الدفاع عنها في وجهة نظر كيركيجارد وهي:

1. ليس من المستحيل على الإنسان الحصول على معرفة ذات الإنسان والعالم والمبدأ بل هو أمر ممكن بخلاف ما ذهب إليه كيركيجارد. إن هذه المعرفة اليقينية يمكن الحصول عليها إما من خلال الشهود الباطني والمواجهة الحضورية المباشرة أو من خلال التحليل والاستدلال العقلاني والدراسة التي تدور حول المفاهيم والعلم الحصولي. ولذا فإن ادعاء كيركيجارد من أن الاستدلالا الفلسفية الآفاقية (العقلانية والتاريخية والتجريبية) لا تصيل إلى المعرفة اليقينية هو ادعاء ليس فقط ليس له أي دليل، بل هناك أدلة عديدة تثبت خلاف ذلك كما بيناه خلال النقود على هذه النظرية.

2. لقد أدى التفكير الصوفي لكيركيجارد إلى سلب الإيمان من جميع الجوانب الهامة الأساسية التي لا يمكن فصلها عن الإيمان وإبقاء بعده العاطفي فقط، مثل العلاقة الفردية مع الله والعشق والهياجان. لقد اقتصر الإيمان على هذا البعد الواحد فقط. ونتيجة لذلك، فإن الإيمان غير موجود في

أبعاد الحياة الاجتماعية للإنسان ويفسح المجال لمدارس أخرى (غير دينية)، وهذا عيب كبير في مكانة الإيمان.

3. هذه النظرية لا تتجاهل البعد العقلاني والمعرفي للإيمان فحسب، بل يعتبره أيضًا مستحيلًا، وهذا يسبب عدم وجود معايير للإنسان في اختيار العديد من خيارات الإيمان المختلفة، والإيمان في هذه الحالة هو لعبة في أيدي البشر. وهذا بالطبع سيفشل في جلب الإنسان إلى السعادة. ومن ناحية أخرى، الاكتفاء بالشهود والجذب المبهم بدلًا من الإدراك والمعرفة العقلانيين، في حين أن الإدراك الشهودي لا يمكن نقله وحجيته يقتصر بصاحبه، و لذلك من أجل نقلها، يجب على البشر أن يرتبطوا بالمعرفة والعلم الحصولي، ولا توجد طريقة أخرى، لذلك على أي حال، لا مفر من استخدام المنهج العقلاني والمعرفة الحصولية.

ختامًا نقول إنّ هذه النظرية التي تفسر العلاقة بين العقل والإيمان مجانبة للحقيقة؛ لتعارضها مع العقل، وإنّ تمسكها ببعد واحد من أبعاد الإيمان وترك الأبعاد المتبقية للحقيقة هو هروب من المشكلة بدلًا من حلّها. وهذه ليست خدمة للإيمان، ولكنها ضربة قوية له، أي بالتشبث بالبعد العاطفي وحده وتجاهل الأبعاد الأخرى للإيمان، سواء بوعي أو بغير وعي، فإنه لا يعالج أي ألم من المعاناة الإنسانية، بل يسبب المشاكل الجسيمة التي عرضناها في قسم النقد، لذا فإن الإيمان وما هو جوهره من الحب والإخلاص لا يمكن تصوره إطلاقًا بدون المعرفة والعقل.

4. إن التنبه إلى الاعتقاد الذي يؤكد عليه كيركيجارد يثبت أنه لا يمكن تجاهل الأدلة الآفاقية . يؤكد كيركيجارد في برهان الحماسة على نظرية التجسد، وهي النظرية التي تقول بأن الله بالرغم من كونه بشرا فهو إله أيضا. إن مثل هذا الاعتقاد لا يمكن أن ينسجم مع أي منظومة عقلية، وقد أدى ذلك بكيركيجارد إلى التخلي عن الأدلة الآفاقية وخاصة في الجانب التاريخي منها، ويحكم بأنفسية الإيمان. وحاليا هناك الكثير من العلماء المسيحيين المتدينين الذين يتمسكون باللوازم العملية للمسيحية الذين يقرون بعدم صوابية الاعتقاد بالتجسد. حيث يؤكد أفراد من أمثال جون هيك على أن اللغة الإنجيلية في هذا الشأن لغة أسطورية، ويجب عدم حمل ألفاظ هذه اللغة على المعنى الظاهري. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا :ما هي الرؤية التي يتعين علينا اختيارها بين هاتين الرؤيتين، أي :الرؤية التي تؤمن بنظرية التجسد التي ساقها كيركيجارد، أو الرؤية المخالفة للتجسد التي ساقها جون هيك؟ فهل يتعين على الفرد المسيحي أن يكون في دائرة الارتباط الوجودي مع الله الذي هو إنسان في الوقت نفسه، أم يتعين عليه أن يرتبط بالله المنزه عن أن يكون بشرا؟ يبدو أن التأكيد على أنفسية الإيمان لا يحمل إجابة شافية عن هذا السؤال؛ لأن كلتا الرؤيتين تؤكد على

أنفسية الإيمان. إن اختيار إحدى هاتين الرؤيتين لإقامة الارتباط الوجودي يبدو أمرا لا يتأتى إلا من خلال الشواهد الآفاقية، وهو الشيء الذي تجاهله كيركيجارد.

5. إن قبول النظرية والاعتقاد بها، على الرغم من الاستدلالات المخالفة بالإرادة التي أوصى بها كيركيجارد، له مشكلتان رئيسيتان. الإنسان مسؤول أخلاقيًا عن فكره وتفكيره، أي أن الإنسان ملزم بالتفكير والإيمان الموافق للاستدلال العقلي والمعرفي. لذلك لا يمكن للإنسان أن يعتنق نظرية على الرغم من الحجة المعاكسة لها وعلى الرغم من الحجة ضد تلك النظرية، لأن أخلاق الإيمان لا تسمح بمثل هذا الشيء، كما أن الإيمان بنظرية على الرغم من الأدلة ضدها من خلال الإرادة سيؤدي إلى أصالة الإرادة وهي باطلة.

قائمة المصادر

القرآن الكريم

ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 1، 1403 هـ.

اصفهاني، ابن منده، الإيمان، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422 هـ.

أكبري رضا، النزعة الإيمانية عند كيركگورد، قضايا إسلامية معاصرة، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد، 1434 هـ.

اشكوری، محمد فنائی، نسبت عقل و ایمان در آموزه های اسلامی، مجله معرفت شماره 133، 1387 ش.

آدامز، رابرت مری هیو، ادله کرکگور بر ضد استدلال آفاقی در دین، ترجمه مصطفی ملکیان، مجله نقد ونظر، شمارگان 3 و 4.

آل یاسین، جعفر، الفارابي في حدوده ورسومه، عالم الكتب، بيروت، ط 1، 1405 هـ.

پلنتینجا، آلوین، عقل وایمان، ترجمه بهناز صفری، انشارات اشراق قم، 1381 ش.

ابن تيمية، أحمد، الإيمان، المكتب الإسلامي، ط 2، 1392 هـ.

جلسون، اتین، عقل ووحی در قرون وسطی، ترجمه شهرام بازکی، مؤسسه مطالعات و تحقیقات فرهنگی، طهران، 1371 ش.

سجادی، سیدجعفر، فرهنگ معارف اسلامی، انتشارات دانشگاه تهران، چاپ سوّم، تهران، 1373 ش.

علی زمانی، امیرعباس، علم عقلانیت و دین، درآمدی بر کلام جدید، انتشارات دانشگاه قم.

کیرکیجارد، سورین، انفسی بودن حقیقت است، ترجمه مصطفی ملکیان، مجله نقد ونظر، شماره 3، 1996 م.

حائري يزدی، مهدی، کاوش های عقل نظری، موسسه پژوهشی حکمت و فلسفه ایران، 1384 ش.

الطباطبائي، محمدحسين، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط 2، 1390 ش.

الطباطبائي، محمدحسين، حواشي بحار الأنوار، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1387 ش.

جمالی، قربان، ایمان گرایی در مسیحیت واسلام، فدک، 1390 ش.

رضا، عارف، اسلام و مسیحیت ؛ مسئله عقل یا ایمان؟، نشریه اسلام پژوهی، شماره 1، پاییز و زمستان 1384 ش.

Refrence

Louis Mackey, "Soren Kierkegaard: The Poetry of Inwardness", in Existential Philosopher

Soren Kierkegaard, Concluding Unscientific Postscript.

Ibn Mandhour, Lisanul-Arab, Dar Ihya' al-Turath al-Arabi, Beirut, first edition, 1403 AH.

Aal Yasin, Ja'far, Al-Farabi fi Hudoodihi wa Rusoomihi, Aalamul-Kutub, Beirut, first edition, 1405 AH.

Plantinga, Alvin, Reason and Faith, translated by: Behnaz Safari, Ishraq Qom Publications, 1381 Iranian Calendar.